ميتافيزيقا البانيو

شعر

ماهر عبد المحسن

ميتا فيزيقا البانيو

مؤسسة رؤى للإبداع

رئيس مجلس الإدارة **صالح شرف الدين** المدير العام. **مصطفى عماد** مدير الإنتاج **أكثم صالح**	**-الطبعة:الأولى** **- الكتاب: ميتا فيزيقا البانيو** **- المؤلف: ماهر عبد المحسن** **- التصنيف: شعر** **- المقاس:14-20** **-رقم الإيداع:2021/5745م** **-الترقيم الدولي : 978-977-6813-64-9**

(أفكار الكتاب وحقوق الملكية الفكرية
يتحمل مسئوليتها المؤلف وحده)

رؤى للإبداع: طباعة، نشر، توزيع
298 فيصل الرئيسي - الجيزة - مصر
ت / 01006588995 - 01283622972
Email:syash4@hotmail.com
www// :https facebook.com/saleh.sharfeldeen

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

**"إلى تفاصيل الحياة اليومية الصغيرة،
التي غاب عنها الوعى طويلاً، وآن لها أن
تتألق في ضوء الفن"**

المقدمة

في سياق احتفائنا بتفاصيل الحياة اليومية، يأتي ديوان "ميتافيزيقا البانيو"، الذي نحاول من خلاله أن نؤسس لجمالية جديدة تحتفي بالعادي واليومي، وتسلط الضوء على أشياء العالم الصغيرة التي تحيط بالإنسان، و يتعاطى معها بشكل آلي، يخلو من التأمل الكافي الذي يجعلها جزءاً من تجربته الذاتية العميقة. وبهذا المعنى، نجد أكثر من قصيدة تتخذ من أشياء الحياة اليومية موضوعاً لها مثل : "ميتافيزيقا البانيو" و "لمبة موفرة" و "فيزة مشتريات" و "نوستالجيا الريسبشن" و "مانو مغلية".

وكما اهتمامنا بأشياء الحياة اليومية، يأتي اهتمامنا بالأنا وعلاقتها بالآخر والعالم. والأنا التي نعنيها هنا هي الأنا الفردية التي تمثل الذات الشاعرة التي تعبّر عن نفسها باعتبارها شخصاً عادياً، فى المقام الأول، ثم وعياً متأملاً ومبدعاً بعد ذلك. يتضح ذلك، بنحو خاص في القصائد التي اتخذت من الزمن هماً لها، وعبّرت عن الخوف من الشيخوخة وهاجس قصر العمر، كما في "معاناة

رجل خمسيني" و "خمسون عاماً أخرى". ويمتد الخوف ليخيّم على المكان، مثلما خيّم على الزمان، في "فوبيا الأماكن المغلقة". كما أن الآخر هو أيضاً الآخر الإنساني اليومي، الذي يلقى الأنا ويتعامل معها عن قرب، أحيانا بحب وتلقائية، وأحياناً أخرى بافتعال إنساني بغيض. فالآخر هو: الجيران الذين يشاركونك المسكن، و يهربون من العالم الشرير بالنوم طويلاً حتى الظهيرة، هو: مندوبة البنك الجميلة التي تحاول إقناعك بالاقتراض الربوي عن طريق استخراج فيزة مشتريات، هو: رفقاء السوء، الذين خانوك ذات غفلة رغم إخلاصك الشديد لهم، هو: ركاب المترو الذين يرافقونك في رحلة الوصول إلى عملك كل صباح، وفى رحلة العودة بعد أن ينهك الجميع التعب.

ويظل موقف الأنا من الآخر متأرجحاً بين الخيبة والرجاء، وتغلب الروح النقدية حتى تصل إلى حد الرغبة في الثأر كما في "رسالة من منتقم".

وفي علاقة الأنا بالعالم يغلب الخيال أو حلم اليقظة الكابوسي كما في "عربة المترو الأخيرة"، وتغلب الفانتازيا أو الوعى الافتراضي في "الكاميرا الخفية"، ويمتزج الخيال بالواقع في "تناسخ أرواح".

وفي كل الأحوال، تتبدي الذات الشاعرة مغتربة داخل العالم، وتعمل طوال الوقت على ابتكار الحيل للتوافق معه، عن طريق الخيال أو عن طريق الافتراض العقلي. فأزمة الذات هنا أنها ترى تفاصيل العالم الصغيرة بعين مجهرية، تحيل الواقع الأليف إلى أشباح وعمالقة، وتدفع الأنا المسالمة إلى اتخاذ وضع الاستعداد من أجل الدخول في حرب ضروس، ضد أعداء حقيقيين أو ضد طواحين الهواء!

إن على القارئ مهمة كبيرة، أن يختار الزاوية التي يرى من خلالها النصوص، أو البوابة التي يدلف منها إلى عالمه. فإما أن يختار حالة السلام والاستقرار التي تعلي من قيمة الجمال، وإما يختار حالة الصراع والتوتر، التي تفرضها النصوص، والتي تعلي من قيمة الحق والخير.

لقد حاولنا أن نكشف عن العالم الملتبس داخل الذات وخارج الذات، من خلال خيوط دقيقة تربط بينهما، ولا تُرى بالعين العادية المجردة، لكن المدربة، المحملة بتاريخ طويل من الخبرة، فى الحياة وفي الفن... خبرة الفنان أو خبرة المتلقي.

ماهر عبد المحسن

على نفقتي الخاصة

منذ نعومة أظافري
أعيش على نفقتي الخاصة
أدفع للبواب
والبقال
والجزار
وأسدد ديون الوطن
التي أضاعها ذات نزوة
فوق طاولة قمار
على نفقتي الخاصة
وقفتُ في طابور العيش
وطابور العمل
وطابور النمل الباحث عن قطعة سكر
لموسم شتاء قارس

على نفقتي الخاصة

راقبت محبوبتي في مكتبة الرسائل الجامعية

حتى رأيت منها ما رغّبني فيها

فلملمت كتبي وأحلامي

وأشيائي التي لم تعد تخصني

وقررت السفر خارج البلاد

على نفقتي الخاصة

تحملت الغربة

والألم

والنوم دون غطاء

دون عشاء

دون أحلام

لسنوات طويلة عجاف

على نفقتي الخاصة

حصلت على درجتي العلمية

لففت العالم

قرأت كل الوجوه

وتركت علامات ترقيم للتساؤل والتعجب

لأحوال القلوب المتقلبة

ورجعت لحالات الخديعة والنصب

فى أدب الرحلات

ومذكرات الطغاة

وطرق تحضير الأشباح

حتى صرت "بروفيسور" في التضحية

والعطاء بغير مقابل

على نفقتي الخاصة

أحببت "عُليا"

و"حسين الجسمي"

وكل الذين غنوا للوطن

دون أن يكتووا بناره

قرأت العهد البائد القديم

آمنت بإنجيل الثورة

وتلوت قرآن العطاء

"متقولش إيه إدتنا مصر... "

"متقولش إيه إدانا..."

الأب أو الأم

أو الولد أو البنت

أو الزوج أو الاصدقاء

"وقول هندّي إيه..."

للغرباء

والمتسولين

والنصابين

ومتسلقي الأكتاف المنهكة

حد الموت البطيء

على نفقتي الخاصة

نشرت كآبتي ومعاناتي

ورغبتي المؤجلة فى الانتحار

الذين سبقوني إلى الموت المجاني

كانوا الأكثر شجاعة

و الأقوى إرادة

والأكثر فهماً لقوانين الانهيار

على نفقتي الخاصة

كنت أبدد الوقت

فى قراءة الطالع والنازل

وأرجم الغيب بآخر ما تبقى لدي

من جنيهات قليلة

لا تكفي لنشر همومي

التي بلغت حد الخرف

ثم نامت وحيدة

فى محطة قطار مهجورة

أو نقل كلماتي البائسة

التى ماتت في حادث طريق

إلى مثواها الأخير...

معاناة رجل خمسيني

بالرغم من أنى لم أتجاوز الثانية والخمسين
أعانى من ألم بضرس العقل
وضعف بالعين اليمني
وعدم القدرة على الوقوف طويلاً
أمام مكاتب موظفي الحكومة
أو انتظار الحافلات المزدحمة
القادمة في ساعات الذروة
أعانى من قلة النوم
والتفكير طويلاً في اللاشيء
لا أحب التدخين
ولا لعب الورق
ولا مشاهدة برامج التوك شو
فقط أجلس في الشرفة فى ظلمة الليل
أرقب النجوم ومنازل القمر

أتذكر نسبية آينشتاين

وقوانين كبلر

وأشعر بسعادة بالغة

وأنا استمع إلى صوت أم كلثوم

القادم من شرفة الجيران

بينما أرتدي "البوكسر"

الذى لا يمكن أن يراه أحد

سألتني ذات يوم ماذا تقرأ؟

ولم استطع أن أجيب حتى الآن

لم أشأ أن أفقدها

أو أعكر عليها صفو حياتها الهادئة

إلا من ثقافتي المزعجة

سألتني ماذا تكتب؟

ولم أجبها كذلك

فلم أشأ أن أعكر صفو حياة شخصياتي

المرسومة على الورق بعناية

فتمنعها كلماتها الناقدة

من حرية الحركة
من أن تحب وتتزوج وتنجب أطفالاً أشقياء
يلعبون الكرة فيكسرون زجاج النوافذ
ويختبئون تحت الأسرّة فيجلبون لها الفزع
ولا ينامون إلا بعد أن يعبثوا بأشياء الحجرة
وينثرون على الأرض مساحيق بيضاء
تمشي عليها الأشباح
تعجّب الناس مني كثيراً
لأنى لم أحب ولم أتزوج ولم أنجب أطفالاً
لكنى قرأت كثيراً وكتبت كثيراً
عن الحب
والنساء
والأطفال
وكنت اصطحب أطفال الجيران
إلى الحدائق العامة
واستخرج الأوراق الرسمية لجاراتي
وزميلاتي فى العمل

اللائى فقدن الأب

أو الزوج

أو الابن المهاجر إلى غير رجعة

وكنت أربي قططاً صغاراً

ولدتهم الأم في حجري ذات ليلة

ثَم فارقت الحياة

وعندما كبروا وعرفوا معنى الحرية

الملقاة فى الشارع

هجروا مكتبة الكتب

واسطوانات الكمبيوتر القديمة

المحملة بأفلام وأغان وطنية

تمجد الوطن

والتاريخ

وعرائس النيل

و محاضرات في التنمية البشرية

تساعدك في تنظيم الوقت

و الإقلاع عن التدخين

وكيف تصير ميلونيراً

ثم اختفوا الواحد تلو الآخر

ولم يبق سوى ذلك الصوت المرعب

لفأر صغير يقرض كتبي

وأقلامي وأوراقي

والصورة الوحيدة

التي التقطها مصور عجوز ذات زمان بعيد

لطفل صغير لم يتجاوز عامه الأول

يجلس فى حجر أم جميلة

كانت تضمّه إليها بقوة

وتحدق في شيء ما خلف الكاميرا...

نوستالجيا الريسبشن

أمارس الحنين تجاه الأشياء
كهواية ممتعة تشبه جمع الطوابع
والعملات التذكارية
وتربية الحمام...
بدافع الحنين
أحب الأفلام القديمة
والأغاني القديمة
والكتب القديمة
وكل أشيائي القديمة
التي تفوح منها رائحة الماضي...
حتى مشاعري
التي كانت طازجة ذات يوم
ثم علتها الأتربة
أنفض عنها غبار السنين

مثل صورة معلقة على حائط الذكريات
ويحلو لي أن أجلس طويلاً
مع طفولتي التي كبرت فجأة
فى غفلة من فطنتي الساذجة
أن استعيد براءتي التي كفّت عن ملاحقتي
بعد أول تجربة نضوج عرفتها في حياتي
بعد أول كذبة
وأول لمسة
وأول قبلة استرقتها من محبوبتي
فى مركب نيلي يعج بالعاشقين
أبطالي الخارقون
الذين ماتوا على الحقيقة
مازالوا يملكون القدرة على إدهاشي
و انتزاع الآهة المكبوتة من أعماقي
رواياتي القديمة المنزوعة الأغلفة
مازالت تملك السحر نفسه
للدخول إلى عوالمها الغامضة

والمثيرة
منذ "المغامرون الخمسة" و"الشياطين ال13"
وأجاثا كريستي وجريمتها التي حدثت
فى قطار الشرق السريع
ما زلت أحنّ إلى فانوس رمضان
وملابس العيد
وأفلام أميتاب بتشان
التى كانت تذاع بعد الظهيرة
ما زلت أشعر بالحنين إلى مقر عملي الأول
بوسط المدينة
إلى هذا المبنى الزجاجي الشاهق
وحجرة مكتبي التي تطل على الشارع
إلى عامل البوفيه الطيب
الذى كان يصنع لي النسكافيه
ويحدثني في السياسة ومباريات الكرة
إلى ذلك التكييف البارد بمكتبي،
الذى كان يرشح ماءً على الدور الأسفل

وكنت أعده حلماً بعيد المنال
بالأمس اشتريت واحداً،
وضعته فى غرفة المعيشة
وهجرت حياتي السابقة في الريسبشن
هجرت المراوح،
والتمدد فوق سيراميك الأرضية
وتأمل النجفة المدلاة
من السقف فوق رأسي
بينما أجلس بين أسرتي
أضع "الهاند فرى" فى أذنيي
واستمع إلى واحدة من موسيقي الراب
وقديماً قال باشلار
إن زر الكهرباء
قضى على إنسانية مصباح الكيروسين
وأنا أقول
إن الحنين سيعود مجدداً
ربما مع أشياء أخرى جديدة

لم يمر عليها الزمان بعد

وأشخاص في طور الطفولة

لم تفقد براءتها بعد

و روح عجوز لم تفقد الأمل

تنتقل إلى غرفة المعيشة

وتحتفظ بذكريات الريسبشن...

إهداء

إلى هؤلاء الذين استفزهم قلمي
فأرسلوا خلفي من يغتال أحلامي
من قدّم لى قهوتي الداكنة بغير "وش"
وأخفى عنى السكر والشاي والنعناع
وعبث بمؤشر الراديو
حتى لا أسمع سوى إذاعة القرآن الكريم
التى تمجد الحاكم
إلى هؤلاء الذين لم يقرأوا لي سطراً واحداً
وأزعجتهم كلماتي
فراحوا يمزقون أوراقي
ويقصفون أقلامي
ويخطرون أجهزة الأمن
بأنى أحب الطماطم والبازلاء
وأكره قيثارة الشرق حين تشدو

بأغنية "شمس الأصيل"

إلى هؤلاء الذين لم يغمض لهم جفن

حين علموا بأنى قادم

كى أعبّر بحبر القلم عن معاناتي

فأغلقوا الأبواب والشبابيك

والتفوا حول التليفزيون

يشاهدون مسلسل "عائلة ونيس"

ونشرة أخبار التاسعة

إلى هؤلاء الذين سكتوا دهراً

ونطقوا كفراً

حين عبّروا عن غير رأيهم

فى صناديق الخيبات

الذين تربوا على "مانشيتات" الصحف

وأبراج الحظ

وحل الكلمات المتقاطعة

إلى كل هؤلاء

أهدى كتابي الأول والأخير

الذى أودعته سر التحنيط

وسر طاقية الإخفاء

وسر التعلية دون رخصة بناء...

فيزة مشتريات

كانت جميلة ولطيفة
ولديها حاجبان كثيفان يذكّراانني بوفاء صادق
ممثلتي المفضلة
صاحبة أجمل وجه
يُؤجج رغبتي في الانسحاب
طاردتني عند المصعد وعند الباب
وفردت لي شعرها المجدول
فوق المكتب
ببراءة طفلة
وعطر أميرة
ونظرة امرأة خبيرة بمكر الرجال
وطلبتْ مني القرب
من أنفاسها
ومن وجنتيها

ومن شفتيها اللتين تتمتمان بالمحظور

تنازلتُ عن وقتي الذى ادّخرته

لتناول الإفطار

وشرب الشاي

وحل ألغاز السودوكو المستعصية

طلبت لها حصاناً

وقصراً

ومركبةً شمسية

تسافر بها إلى حيث أقيم هناك

بعيداً عن النيل والأهرامات

وتماثيل الحرية

المنكوبة بفعل الزلازل والبراكين

وإقامة السدود التي لا تمنع سريان الحلم

من النيل إلى الفرات

كتبتُ لها في لحظة صمت مقيتة

أني لا أحب البيع

ولا أهوى الشراء

وتفجعني تعاملات البنوك

المرهونة بالفوائد

قالت لى كيف تعيش دون فائدة؟!

كيف لك أن تحب

وتتزوج

وتنجب أطفالاً

دون فائدة؟!

وكيف تريدني أن أسافر معك

فى الزمان

والمكان

والتاريخ

دون فائدة...

وأنت تعلم أن فى السفر سبع فوائد؟!

قد يقنعك البعض بالحجة

أو المنطق

أو تحت تهديد السلاح

لكنها كانت مقنعة

دون حجة أو منطق أو سلاح
كانت مقنعة لأنها كذلك
ولأنني هكذا
مقتنع دائماِ حين يأتي السحر
من سهم العيون
وحين يصنعن من سذاجتي أثراً
يتلون عليه تعاويذ البداية والنهاية
ويستدعين خرائط جوجل
التي ترسم الطريق إلى أماكن البيع،
وعروض الشراء
حزمتُ حقائبي
وانتظرتُ هناك طويلاً عند البئر
ومثل بيتر أوتول فى "لورانس العرب"
لمحتُ شبحاً ملثّماً
قادماً من عمق الصحراء
يطلق الرصاص دون هدف
ويبحث فى اللاشيء

وعندما وصل إليّ

نزل من فوق راحلته

وسألني عن اسمي وعنواني

وبطاقة هويتي

وقال إنه جاء يزف إليّ خبراً سعيداً

ويحمل فى جعبته بطاقتي الائتمانية

وعروضاً مجانية للبيع بالتقسيط

وعندما سألته عنها

لماذا لم تأت؟

ولماذا عدلت عن السفر

بالرغم من فوائده العديدة؟

أجابني بأنه لمحها منذ قليل

تقف عند مصعد آخر

وتدق باباً آخر

كى تفرد شعرها المجدول

فوق مكتب شخص آخر

يؤمن بالفائدة

ويرغب فى شراء العالم كله

دون أن يشعر بالذنب!

علاج نفسي

اكتب ... اكتب ... اكتب ...

اكتب دون نهاية

دون توقف

اكتب عن نفسك

وعن الآخرين

عن الحياة... عن الموت

عن المكان... عن الزمان

عن سخف هذا العالم

عن هؤلاء الحمقى

عن عبء الكتابة

الذى تحمله فوق ظهرك

عن ضريبة الإدراك

وفاتورة الفهم

والرغبة الدائمة في التحذير

من مغبة الجهل

من وهن الإرادة

وفتنة الاختلاف

اكتب عن هؤلاء المرضي

الذين لا ينتظمون في العلاج

الذين يفرطون في الشراب

والتدخين

وتناول الأطعمة الغنية بالسكريات

الذين ترهلت عقولهم

وكرّش خيالهم

وفقدوا عادة المشي فوق الأشواك

اكتب عن لحظات خوفك

ويأسك

وشعلة الأمل التي أوقدتها ذات يوم

ولم تنطفئ حتى الآن

اكتب عن الخيانة

عن الكذب

عن عبدة الشياطين

وموت الإله

عن ميلاد التفاهة فى زمن مخنث

يأبى إلا أن يستعرض عوراته

في صالات الموضة

في منتديات العراة

على مواقع العهر السياسي

حيث كل المدن فاضلة

وكل النصائح قادمة من السماء

وكل الذين يجأرون بالشكوى

سقطوا من الإعياء

أو ماتوا فى حادث سير

أو شنقوا أنفسهم بحبال الوهم

دون إرادة

اكتب عن طفولتك السعيدة

عن كراسات الرسم

وعلب الألوان

ومدرّسة الفنون الجميلة

ذات الشعر الأصفر والبنطلون الجينز

وعبارات المديح

التي كانت تخرج من بين أسنان بيضاء

اكتب عن حصة النشاط

وطرق صناعة المربي

والعزف فوق أصابع البيانو

في غرفة الموسيقى الواقعة فى نهاية الممر

حيث تجلس امرأة ارستقراطية

تهتم بالنغم

وتنظر إلى ملابسك المتواضعة

باستعلاء

اكتب عن حصة الألعاب

ودوري المدرسة

ومباراة الكرة التي لعبتها ذات شتاء

تحت أمطار كاسحة

عن مسلسلات ما بعد الظهيرة

وأفلام السهرة

حيث الخير أبيض

والشر أسود

و النهايات دائما سعيدة

اكتب عن ألعاب المساء

فى إجازات الصيف

حيث تحلو المغامرة

وشهوة التخفي عن أعين الأصحاب

اكتب عن جنود الاحتلال

عن العسكر

الذين سرقوا منك مصروف المدرسة

وعن الحرامية

الذين علموك كيف تكون لصاً شريفاً

فلا تسرق طفلاً أو فقيراً،

ولا تقطع طريقاً وقت الحرب

اكتب عن لعبة "الاستغماية"

التي أحببتها في طفولتك ذات يوم،

عندما أغمضت عينيك وقلت "خلاويص"

فقال الجميع، و مازالوا يقولون:

"لسّه !"

السر

يموت الناس كثيراً هذه الأيام

يموتون فجأة

دون سابق إنذار

دون إشارة واضحة إلى معنى الرحيل

دون حكمة يلقيها الأحياء

قبل أن يصيروا أمواتاً

ويُدفن السر معهم إلى الأبد

سر الحياة

سر التحنيط

سر الرغبة المحمومة

فى أن تشرب زوجتك الكولا

وأن يأكل اطفالك الشيبسي

أن يصرّ جارك

على رفع صوت المذياع ليلاً

ويكسر ابنك مرآتك الزجاجية

التي لا تعرف نفسك دونها

أن يثور الناس من حولك

كلما فعلت الشيء

أو فعلت ضده

كلما دخّنت السجائر

أو أحببت الكرة

أو نمت في يوم عطلتك طويلاً

دون أن تزعج أحداً.

يموت الناس كثيراً هذه الأيام

بعد رحلة عناء طويلة

بعد مرض عضال

وكومة من الأدوية تبلغ عنان السماء

بعد أحلام لم تتحقق

وثرثرة لم تنته

وصراع طويل مع العرض

بعد أن رحل الأحبة

والأصدقاء

والضحكات التي كانت ترن في هدأة الليل

حتى الصباح

ولم يبق إلا مقهى قديم خال

إلا من الذكريات

و طابور طويل

أمام ماكينة صراف آلي

تعلن دائما

عن وجود عطل مؤقت للخدمة

يموت الناس كثيراً هذه الايام

فى سن صغيرة

لم يعش أصحابها طويلاً

لم يستكملوا الدراسة

لم يستكملوا الحلم

لم يستكملوا الفرحة

لم يستكملوا الصرخة القصيرة

التي أطلقوها منذ الميلاد.

فقط عاشوا كعابري سبيل

فمرّوا دون أن يمكثوا طويلاً

وكالغرباء لم يزعجوا أحداً

لم يطلبوا شربة ماء رغم العطش

لم يسألوا عن الطريق

رغم التيه

وكالمسافر "ترانزيت"

بين رحلة الحياة ورحلة الموت

مكثوا قليلاً

وبعد أن تناولوا مشروباتهم الساخنة

وشطائرهم المحشوة بالمربي

وألقوا نظرة على صحف المساء

كتبوا رسائلهم المدوية:

"انتحرنا لأننا لم نجد من يسمعنا !!"

"انتحرنا لأن أحلامنا أكبر من سخف هذا العالم !!"

"انتحرنا لأننا عرفنا السر !!"...

كن فارساً

كن فارساً نبيلاً حتى النهاية
حتى الرمق الأخير من نذالاتهم
وحماقاتهم
وغبائهم المستحكم رغم نياتك الحسنة
وطاقاتك المهدرة فى فعل الخير
كن فارساً أمام أعدائك
الذين حاربوك وأنت أعزل
إلا من الإيمان بالسلام
أمام أصدقائك الذين سكتوا على الظلم
الواقع عليك وحدك
والقهر الذى تحمله كحقيبة الظهر
وحدك
أمام جيرانك الذين اشتموا رائحة الغدر
القادم متشحاً بسواد الليل

فواصلوا نومهم حتى الظهيرة

كن فارساً أمام أبنائك

الذين علمتهم حكمة الصمت

والصبر على الأكاذيب حين تذيعها الفضائيات

فلم يرثوا سوى الجدل والثرثرة

فيما لا طائل من ورائه

أمام أشيائك العزيزة

التي حافظت عليها منذ طفولتك الأولى

فتسربت من بين يديك

الواحدة تلو الأخرى

حتى صرت كهلا

تحيا بغير أرجوحة

أو دراجة

أو كرة مطاطية

تحطم نوافذ الجيران

كن فارساً أمام العالم

الذى اتفق على أن يقف ضدك

كى يمنعك الماء والأحلام
وينزع عنك نياشين المجد الزائف
التي وضعوها عنوة فوق صدرك
كن فارساً أمام نفسك
في لحظات ضعفها المرذولة
حين تقف عند الهاوية وتقفز إلى أسفل
مثل طفل يهوى بفرحة
من فوق قمة "التريمبولين" المطاطية
كن فارساً عصرياً من نوع خاص
تحارب دون سيف أو خوذة أو حصان
تقتل دون دم
وتظلم دون سرقة
وتمارس القهر في أوقات فراغك
حين تمنع الناس من تعاطي

الخمر

وتدخين السجائر

وإرسال طلبات إضافة على الفيس

لمصادقة الجهل والفقر والمرض !

تناسخ أرواح

يقيناً عندما أمسك بالقلم وأشرع في الكتابة
أكتب شيئاً غير الذى كنت أنوي كتابته
وعندما أقرأ للغرباء
أشعر أني أقرأ تفاصيل حياتي الماضية
تماماً مثلما أزور مدناً جديدة
فأشعر أني عشت فيها منذ زمن
آلف الشوارع والميادين
وأصحاب المحال
ورواد المقاهي
وتمسّح القطط الضالة بحذائي المغبّر
من فرط السير فى حارات يقتلها الفضول
رائحة البحر في المدن الساحلية
ومنظر المزارعين
القادمين من الحقول في أقصى الجنوب

تشعراني بأنى عشت هناك ذات يوم
ومارست نفس الطقوس
شيء ما من طين الأرض
مازال عالقاً بذاكرتي
وشيء ما من البحر
من الرمل
من البيوت
من الجدران التي تنشع بالماء
مازال يذكّرني برحلة سرمدية
قطعتها ذات مساء مضاء بالشموع
ولمبات الكيروسين
أو ذات صباح بارد غمر الوجه الطفل
برذاذ من بخار مشبع بالماء
عندما أسمع أغنيات أم كلثوم وعبد الحليم حافظ
أشعر أني أنتمي إلى الماضي البعيد
وأني قادم من زمن فائت
حيث الحياة هادئة

والشوارع خالية من المارة

و النوافذ والشرفات المطلة على العالم

مليئة بالدفء الإنساني

وتفوح منها رائحة القهوة

والشاي بالنعناع

كلما شاهدتُ حسين رياض

بجلبابه المخطط وطاقيته المميزة

المصنوعة من نفس قماش الجلباب

كلما قرأ جريدة

أو نظر من خلف نظارته الطبية

أو ذهب وقت القيلولة كى ينام في غرفته

شعرتُ أنى التقيت به ذات يوم

وعشت في البيت نفسه

وتنفست عاداته وطقوسه وتقاليده

وأن في بيتنا نفس الطربوش

ونفس القطة

ونفس الخادمة الصغيرة

التي لا تكف عن الثرثرة والبكاء

ونفس الرجل الذي اقتحم بيتنا

ذات مغرب رمضاني حميمي

فشاركنا الإفطار والسحور

وأشركنا معه في الخوف

والرغبة فى الهرب

إلى بلاد بعيدة

أكثر حرية وأمناً

واحتراماً لأرواح الموتى
المسافرة عبر الأزمان
الباحثة عن نفسها
فى تفاصيل الحياة الصغيرة
فى كرسي أو مقعد
أو قصاصة ورق
كتبناها في لحظة توهج عاطفي مدهشة
ولم يقرأها أحد سوانا !

لمبة موفرة

في الماضي البعيد
كانت تُضيء غرفتي لمبة موفرة
لكن لم تكن تُدعى موفرة
كانت طويلة وبيضاء وتعيش سنيناً
دون ضمان
دون فاتورة تثبت التاريخ
أو نصيحة من البائع بالاحتفاظ بالعلبة
كانت ذات شكل واحد
وحميمية واحدة
لأنها كانت تضيء البيوت كلها
للناس كلها
التي تشعر بالوطنية
دون أن تذكر كلمة جيش
أو شرطة

أو تحيا مصر

كانت تُعرف باللمبة النيون

وتمثل لحظة ضوئية فارقة ومتقدمة

بعد اللمبة الكيروسين

وبالتعاصر مع اللمبة الصفراء

"القلووظ"

أو المسمار

اللمبة الموفرة

التي لم تكن تدعى الموفرة

كانت توفر الطاقة والمال

والسعادة غير المتناهية

لحياة بسيطة

لا تعرف الاضطراب

اللمبة النيون

علمتنا الهدوء

والشعور بالتألق

الذى يشع من الوجوه

في بيوتاتنا المتواضعة

التي انكشفت تفاصيلها المخفية فجأة

كطفل خرج للاستحمام

كحقيقة أعلنت عن نفسها

بعد طول كتمان

اللمبة النيون الموفرة

كانت تغمر بضوئها وجه حبيبتي

ابنة الجيران

في النافذة المطلة على الشارع

حيث تقف لترقب المارة

والأولاد الذين يخطبون ودها

أثناء لعب الكرة

اللمبة النيون

كانت بريئة وساذجة

لا تفرح أو تحزن أو تغضب

ولا تفكر بالأيديولوجيا

وكشيطان أخرس

ومثل كل اللمبات

كانت تغض الطرف

عن كل ما يُحاك في الظلام

من سرقة

ومن قتل

ومن خيانات زوجية

وكانت تضلل الأعداء

في زمن الحروب

فينقطع التيار أثناء الغارات

القادمة من السماء

المستهدفة أسطح المنازل

ومصانع الحديد

ومدارس الأطفال

وكانت تبارك تلك الاختلاسات البريئة

فى النظرة

وفى اللمسة

بين القلوب الصغيرة

المتطلعة إلى حياة هادئة

وسط الحطام

اللمبة النيون الموفرة

التى لم تكن تدعى موفرة

كانت تصبر كثيراً

وتتحمل كثيراً

وتعيش طويلاً معلقة في الأسقف

وفوق الجدران

ربما باهتمام

وربما بإهمال

فتعلوها الأتربة

أو تسكنها الحشرات

فلا تتذمر

ولا تشتكي

ولا تتوقف عن توزيع الإضاءة

ولكنها،

ويا للغرابة،

قد تنفجر فجأة مثل قنبلة موقوتة

وتحدث دوياً هائلاً

اذا ما لمسها أحد وسقطت على الأرض

ذات مرة غير محسوبة

ولأسباب غير معروفة

عدا أنها طبيعة لمبات النيون الموفرة

التي تبذل الحب

وتدّخر الكراهية

وتؤجل الانتقام

حتى لحظة استفزاز لا يتوقعها أحد !

ميتافيزيقا البانيو

عرفته في أفلام الرعب
فى لحظة الإظلام المخيفة
التي تعقب تكاثف رغوة الصابون
فوق العينين المغمضتين
حين تشعر البطلة
التي يغمر جسمها الماء
وتتمدد وحيدة فى البانيو
فى منزل يخلو من قاطنيه
أن ثمة شخصاً آخر
أو كياناً آخر
شبح
أو كائن خرافي
يراقبها من خلف الستار
البانيو عالم آخر وسحر آخر

ارتبط بالسينما

وبمظاهر الثراء

منذ أن غاص عبد الوهاب

فى مياهه العميقة

هرباً من الدائنين

ومن المعجبات

فى لحظات لا مبالاة سعيدة

ترتفع فوق الأزمة

وتتحد مع الفن

ليغني "المية تروى العطشان"

كما يرتبط بالعلم ولذة الاكتشاف

منذ طفا أرشميدث فوق سطحه

ذات يوم قائظ

ثم خرج إلى الشارع عارياً

يردد "وجدتها... وجدتها"

البانيو صار رمزاً للراحة

منذ انتقل إلى الطبقات المتوسطة

فدخل بيوت المثقفين
وموظفي الحكومة
وأصحاب المهن الحرة
وفي كل الأحوال
ينتظرك هناك فاتحاً ذراعيه
كى يأخذك بين أحضانه
بعد يوم عمل شاق وطويل
وقبل قراراتك السيادية
التي تأخذها فى مواجهة التحديات
بعد أن تخطئ التقدير فى حجم أحلامك
وأمنياتك
وثقتك غير المتناهية
في الذين خانوك وحنثوا بوعودهم
ثم تركوك وحيداً
فى منتصف الوهم المبدع
وحمى الاختراع
البانيو ليس عميقاً جداً بحيث يسبب الغرق

وليس ضحلاً جداً بحيث لا يفهم معاناتك
البانيو كيان مريح إلى أقصى درجة
فيمكنك أن تسمع الموسيقي
وأن تتناول مشروبك المفضل
أن تلعب كالأطفال بالماء
وكالكبار بالنار
دون أن تجيد السباحة
ودون أن تخشي الغرق
ودون أن تقبض عليك الشرطة
لأنك هرّبت البضائع
أو الأسلحة
أو تجاوزت السرعة المطلوبة
وعبرت البراميل
البانيو معضلة فلسفية تستحق التأمل
لماذا البانيو؟
وكيف البانيو؟
وإلى أي مدى يمكنك أن تحيا

دون أن تغمر وجودك المتعب بالماء؟
دون أن تطفو فى أوقات فراغك الذهني
فوق سطح همومك ومعاناتك اليومية
التي لا يشعر بها أحد سواك؟
إلى أي مدى يمكنك أن تجلس
فوق ضفاف بحيرتك الخاصة،
تحمل صنارة صدئة،
كي تصطاد خواطر بائسة،
وأفكار عفا عليها الزمن؟
البانيو مسؤولية أن تحيا وحيداً رغم الآخرين
أن تغمض عينيك الحادتين
رغم الحضور الطاغي للعالم
أن تسلم جسدك المتمرد لرعونة الماء
رغم إحساسك الثقيل بالجاذبية
أن تنزع سدادة الماء بشجاعة مغامر جريء
خبر المخاطر وراهن على حياته
في لحظة ميلاد جديدة

أو كمتصوف عابد غسل ذنوبه

بعد أن طرح العالم الفاني خلف ظهره

ثم ولّى وجهه شطر الحقيقة غير المراوغة

فى لحظة تكشف عميقة

مغمورة بنور الهداية

مفعمة براحة أبدية !

رسالة من منتقم

يوماً ما قريباً جداً
ستشعرون مني بالقلق
وستبحثون عن مكان آمن للاختباء
ستهرعون مذعورين
بعيداً عن فوهة قناصتي
المصوبة بدقة إلى عالمكم الشرير
سترتعد أطرافكم المتأنقة
حين تقع أعينكم على أصابعي المتوترة
وهى تعيد ملء خزانة الرصاص
ربما تشعرون بالذنب وتندمون على خياناتكم
لرجل كان مخلصاً لكم حد السذاجة
وربما تشعرون بالظلم
تجاه انتقامي غير الرحيم
لأن القتل، فى نظركم،

أكبر من أن يكون عقاباً لخسّة لطيفة،
أو نذالة عابرة،
أو خيانة غير جنسية
فى زمن التخلف الحضاري
لكنكم ستدركون فى لحظة أخيرة
وقبل وقوع الموت الوشيك
أن وجودكم كان زائداً عن الحاجة
وأن التخلص من أرواحكم الشريرة،
فيه خلاص للعالم
من نكاتكم السخيفة
وضحكاتكم المستفزة
وثقتكم الكاذبة فى غرام العاهرات
ستحاولون رشوتي بالمال والنساء
والمنصب الخادع الكبير
لكنكم، يقينا،
تجهلون أني أحب القراءة
وشرب القهوة،

ومشاهدة مصارعة الديوك

في مسلسل "جذور"

ستتعجبون من هواياتي البريئة

و رغبتي الطفولية في جمع فارغ الرصاص

فى شم رائحة البارود

وبناء سور الصين العظيم

وتمثال الحرية

فى لعب دور على بابا

والقبض على "قاسم"

وحبس الأربعين حرامي

وعندما يتساءلون فى دهشة

لماذا لم يصفر الزعيم ؟!

سأتوقف فجأة عن اللعب

وأضغط قوياً على الزناد

حتى أفجّر الماضي المختبئ

فى صندوق ألعابي تحت السرير

والحاضر المعلق فوق الحائط المتهالك،

الذى أنهكه التعب

والمستقبل المنتظر

منذ سنوات طوال أمام الباب

ويخشي أن يرن الجرس

فيوقظني من أحلامي الجميلة

أو يصيبني بالدهشة

عندما أكتشف أن الجميع قد رحلوا

وتركوني وحيداً، نائماً فوق كراساتي المدرسية،

مرتديا زي "السوبرمان"،

فى بناية قديمة آيلة للسقوط !

صوت أم كلثوم

هو صوت الطفولة القادم من الماضي البعيد
هو بيتنا المتواضع القديم
ذو الجدران المتآكلة
الحانية على خيالاتنا الواسعة
و أحلامنا البريئة
إلا من سرقات مشروعة
وقتل عشوائي لأعداء كرتونية
وأشباح وهمية
وقطع للطريق على قوافل النمل
العابرة للحوائط الحاملة للذكريات
صوت أم كلثوم
هو أبي الذى كان يلعب الورق
ويدخن "الشيشة"
ويقرأ جريدة الصباح في وقت متأخر من الليل،

بينما يذيع الراديو أغنية "يا مسهرني"

هو أمي التي كانت تعد الطعام

وتصنع الشاى

وتجلس أمام "التليفزيون"

تتابع مسلسل المساء،

وأفلام فاتن حمامة

التي كانت تذاع بعد الظهيرة فى يوم الجمعة

هو جارتنا الطيبة البدينة

التي كانت تتشاجر كثيراً مع أمي

لكنها تصنع جداراً هائلاً بيني وبين أبي

حين يشرع في معاقبتي لأنى تأخرت خارج البيت

ذهبت إلى السينما في العيد

أو لعبت الكرة بعد المدرسة

أو اشتكي مني أصحاب المحال التجارية

لأنى أزعجتهم بلعبي في إجازة الصيف

صوت أم كلثوم

هو خالي الذى كان يصحبني معه

إلى مقار عمله في تشطيب البنايات العالية

الذى كان يحب الأفلام الهندية

ويعشق عبد الوهاب وفريد الأطرش

ويتابع مسلسل كوكب الشرق الإذاعي

الذى كان يحب الأكل والسجائر

ويحتفظ بمكتبة ملأى بكتب الجاسوسية

ومجلات السوبرمان المصورة

صوت أم كلثوم

هو صوت الفرحة المنتظرة

بعد إعلان دار الإفتاء

أن غدا هو غرة شهر شوال

هو وقفة العيد

و لبس العيد

وحذاء العيد.

وسهر الأمهات حتى الصباح

هو الفرحة قبل قدومها

هو الفرحة كلها

حيث لا فرحة بعد تعب الخروج

والتنزه فى الحدائق

وركوب المراجيح.

صوت أم كلثوم

هو صوت الحرب

وصوت السلام

وصوت الأحلام القومية المجهضة

والعاطفة المتقدة حين تتكلم الفصحى

هو سؤال أبي لماذا لا تتزوج؟

وسؤال خالي لماذا تدرس الفلسفة؟

هو الصوت الذى كان يتردد داخلي

وأنا أرعي أمي المريضة

قبل رحيلها

وبعد رحيل أبي وخالي

وجارتنا البدينة الطيبة !

عربة المترو الأخيرة

وحدي وجدتني داخل عربة المترو الأخيرة،
التي تقلني إلى عملي كل يوم
بإرادتي، أركب هذه العربة المنفية كل صباح
أختار المقعد الواقع في منتصف العربة
وأجلس عند الطرف أقصى اليسار
حتى استطيع أن ألمح اللافتات
التي تشير إلى وجهتي المنسية
من خلف زجاج النافذة المقابلة
وحتى لا أضطر إلى القيام بعمل خيري أبغضه
كأن أضحى بمكاني لرجل مسن،
يرمقني بنظرة تحدٍ قاسية حتى يشعرني بالذنب،
كأني مسئول عن غدر الزمان الذى ألم به
أو امرأة ترتدى السواد وتحمل طفلاً مدرباً
على نزع ماء التعاطف من صحراء قلبي الجافة

أو شابة فى مقتبل عمر الزوجية،

يقطع بطنها الحامل أفق الرؤية الممتد

أمام ناظريّ

الحالمين ببقعة هادئة،

خالية من أناس متطفلين، ينتهكون خيالي المجنون

لهذه الأسباب، وأسباب أخرى

أوثر هذا المقعد

وهذه العربة

وتلك الرغبة الجامحة

فى صيرورتي وحيداً رغم الناس

رغم الزحام

رغم مدينتي الصاخبة

التي تستقل المترو كل صباح

اليوم وجدتني وحدي

داخل عربة المترو الأخيرة

وبيني وبين الزحام مقدار محطة قصيرة

لكن شعوراً بالخوف تملكني

شيء ما غامض بأن كارثة ما

ستحل بالمترو خلال تلك الدقائق

ربما انفجار مروع يلتهم كل شيء

أو غاز يتسرب من حيث لا أدري،

فيخنق كبريائي المريض في عزلتي الاختيارية، البعيدة عن الناس

و ربما احتلال خارجي

مُدبّر له منذ سنوات بعيدة فى الخفاء

أو حرب كونية تشنها مخلوقات فضائية

قادمة من كوكب آخر، لغزو الأرض الخراب

فى عربة المترو الأخيرة

ربما تقوم القيامة،

وليس بيدي سوى وحدتي البائسة التي لم أغرسها،

ولن أستطيع أن أغرسها

أو أموت من فوبيا الأماكن المغلقة،

فيسألني الملكان عن شبابي

الذى أضعته أمام شباك التذاكر

ووقتي الذى أهدرته

فى الثرثرة حول فساتين السهرة

فى مهرجان الجونة

ومالي الذى أنفقته

فى شراء العدسات الملونة

لزوجتي التي تعمل في شركة المحمول

فى عربة المترو الأخيرة

ربما يركب مجموعة من اللصوص،

ويتآمرون على حافظة نقودك،

أو حقيبتك الجلدية،

أو قصائدك الملعونة التى لم تكتبها بعد

و ربما يركب اثنان عاشقان،

يتبادلان الهمسات والقبلات،

ويبنيان أحلامهما البريئة

فوق قضبان علاها الصدأ

وصافرة تنذر بالزحام

و ربما ينام عجوز من فرط السهر

تحت جنح الذكريات العربيدة،

أو تنشغل امرأة عاملة بحياكة الدقائق الهاربة

من مقدمة القطار

فى عربة المترو الأخيرة

تخلي عن خوفك

وكبريائك

ونظرتك الآثمة للآخرين

ولا تنس أن تردد أحلام الصباح والمساء !

خمسون عاماً أخرى

سأحيا خمسين عاماً أخرى
رغم اليأس المخيم على الحياة
رغم الآمال الضائعة
والأحلام الكسيحة التي لم تبرح مكانها بعد
رغم الرفقاء الذين شاركوا في صنع الخيال
ثم تساقطوا في الطريق
سأحيا حتى ألملم شتات غرفتي شاحبة الطلاء
وأعيد ترتيب أحلامي
وذكرياتي
وأفكاري المستعصية،
فى حقيبة السفر إلى المستقبل البعيد
سأعيد حساباتي مع نفسي ومع الآخرين
سأغفر لنفسي الضعيفة حماقاتها
التي كانت ترتكبها في المقعد الخلفي

من الأوتوبيس المكيف
وكيف كانت تغفو طويلاً رغم ضجيج العالم
وتحلم كثيراً رغم هشاشة الواقع
وترقب زحام المدينة المجنونة
من خلف زجاج مكسور
سأسدد للآخرين ديونهم التي في ذمتي
لقاء تعاطفهم الرحيم تجاهي
حين فقدت الثقة في العالم
وقدرتي على الطفو فى حمام سباحة رديء
وحين وقفت وحيداً ذات يوم،
أندد بالظلم القادم من تحت سماء ملبدة بالهموم
سأدفع للمرضى والمكروبين،
والذين حرصوا على الابتسامة
رغم أحزان العمر
سألتقط صورة سيلفي
للذين صافحوني
ودعوا لي بالهداية

دون أن يظهروا في الكادر
الذى اقتسم معي الضحكة
على نكاتي المكررة
والذى دفع لي ذات مرة أجرة الباص
والذى كتب لي إهداءً على كتاب لم يؤلفه،
ونصحني بقراءته
سأحيا طويلاً رغم الكبرياء
رغم الحصار
رغم الموت البطيء
فأنا أحب الضباب، وطقس الشتاء
حين تهطل السماء أفكاراً مدهشة
وأكتب تاريخاً جديداً
وفصولاً عجيبة
عن قصص ليلية مراوغة
وأناس يصنعون من الألم أغاني بطولية
يرددها الأطفال قبل النوم
سأصنع للأولاد بنادق خشبية

لا تقتل إلا الأوهام

وسأصنع للبنات عرائس ملونة

تلعب الحجلة ولا تعرف الغواية

سأصنع لنفسي معضلةً جديدةً

وسأعكف على إيجاد الحل

سأستدعي فيلسوف النسبية

ومؤلف آلة الزمن

ومخترع الديناميت

لأني سأفجر السؤال

والإجابة

وأعود طفلاً من جديد !

الكاميرا الخفية

عش كأنك ضحية برنامج تليفزيوني شهير
أو كلعبة يمارسها الأصدقاء
الذين لا يكفون عن صنع المقالب
والضحك طويلاً علي الثقة المفرطة
فى زمن يهوى الأكاذيب
كن متأكداً أن الجدران التي تحيط بعالمك الخاص
وتتطلع إلى أسرارك النائمة
فوق فراشك المهجور
لم تكن سوى قطعة من ديكور مصنوع
يشبه حياتك البائسة
وأن المرآة اللامعة القابعة في الركن البعيد
أقصى الحجرة القائمة فوق سطح الجيران
لم تكن إلا حاجزاً شفافاً
يفصل بين عالمين سحريين

أحدهما للعمالقة

والآخر للأقزام

وأنك مثل جيلفر تقف على الحدود

بين الذكاء وبين الغباء

ومثل "أليس" تحيا فى بلاد العجائب

وأن اللص الذى قفز من نافذة المطبخ

إلى غرفة نومك

بعد أن قضم قطعة التفاح

الموضوعة فوق الرخام

لم يكن يرغب في أكثر من ابتسامة

وإذن منك بأن يذيع الحلقة

كن متأكدا أن الأرض التي تمشي عليها

و الشرفة التي تطل منها

والسماء التي تضيء شكوكك

حول طقس النهار

إنما هى جزء من لعبة كبرى

لتسلية العجائز الذين أحيلوا على المعاش

والنساء اللائي يمكثن في البيوت
يأكلن البيتزا
ويحلمن بوزن مثالي
ووجه يشبه نانسي عجرم
كن متيقنا أن رجال الأمن
الذين حاصروا بيتك عند الفجر
وداهموا خزانة الكتب القديمة،
فأحرقوا روائع ديستويفسكي
ومسرحيات الحكيم
وروايات العم نجيب
لم يكونوا أعداءً للثقافة
أو الحق في تبديد الوقت
فيما لا طائل من وراءه
ولكنهم كانوا مجموعة من الكومبارس
وممثلي الإعلانات المغمورين
الذين يحملون أسلحة بلاستيكية
وغازات مسيلة للضحك حتى الغثيان

كن متيقنا أن الذين ماتوا فى وضح النهار
والذين غابوا وراء الأسوار
والذين فقدوا القدرة على التمييز
بين الأبيض والأسود
إنما كانوا يعيشون في عالم آخر مثالي
فوق العقل
وفوق الخيال
وداخل فانوس إسماعيل ياسين السحري
كن متأكدا أن قطتك اللطيفة
التى تطارد الفئران
وكلبك البوليسي المخضرم
الذى يشتم رائحة الغدر من على مسافات بعيدة
و ساندوتش الجبن الرومي
المخبأ فى حقيبتك المدرسية
منذ سنوات دراستك الأولى
لم تكن سوى دروس الرسم
التي ألقتها مس إنجي على الأولاد

حتى لا يستمعوا إلى حديثها المنمق

مع مستر أحمد مدرس الحساب

وإذا لم تكن متأكداً أو متيقناً

أن شيئاً ما شريراً لم يحدث

تخيل أن ثمة كاميرا خفية تختبئ فى مكان ما

على بعد خطوات من هواء العالم

الذى يدور حولك

وأنها ترقب تفاصيل الرعب

المرسوم على وجه الضحايا

وعندها

حاول أن تكون لطيفا رغم السخافة

طيّعاً رغم تماثيل الشمع

مرحا رغم ثقل ظل الممثلين

واسمح للعالم بأن يرى مأساتك

فقط، قل للمذيع:

"ذيع" !!

الموجة الثانية للجنون

بعد الخوف الخارج عنوة من أفواه المذيعين

المطل بقسوة من أعين المرايا المزروعة في البيوت

البيوت التي كانت نائمة ثم صحت فجأة على الفاجعة

بعد تكميم الأفواه

و ارتداء قفازات الأمان الكاذب

ومسح آثار الحياة

من فوق تفاصيل الأيام المتشابهة

بعد أن ضحك الموت كثيراً فوق شفاه

الصباحات غير المبالية

بعد أن شارف العام الثقيل على الرحيل

تاركاً رشفة من البن باقية

لم يبق سوى الاستعداد لموجة ثانية

موجة من الجنون الضاحك بلا اكتراث

بلا رغبة في الثرثرة

فلا معنى للمسافات الفاصلة

للتحذيرات المدوية القاتلة

فالمارة قد خرجوا إلى الشارع

والمقاه الموصدة

فتحت أبوابها لروادها الفضائيين

العائدين بفعل الجاذبية

ومياه الشرب المعدنية

لمشاهدة الكليبات

ومباريات الكرة

وتذوق طعم القهوة التيك أواي

فى أكواب كرتونية

ومشاعر ورقية ...

نبذلها لمرة واحدة

فى الموجة الثانية للجنون

لا جديد تحت الثرثرة

واللامبالاة

والموت البطيء المختبئ

في أدراج الحكومة

وكراسات الأولاد

ومناديل الورق

وكريمات تفتيح البشرة الكالحة

فى وجه النهار المشحون بالغبار

فى الموجة الثانية للجنون

لا معنى للحذر

لرسم المسافات البعيدة بين البشر

لا معنى للزحام

وللضجر

الكل خرج من سجن الروتين المنزلي

السقيم

إلى براح الشارع

والمواصلات العامة

وطوابير الانتظار

حيث الكلاب

والقطط الضالة

و الفيروس الأليف

والموت الصديق

القادم لا محالة فى نهاية الطريق

فى الموجة الثانية للجنون

لم يعد هناك مصل

ولا يحزنون !

فوبيا الأماكن المغلقة

يتنفس عبد الحليم حافظ تحت الماء
ثم يغرق
ويبعث نزار إلى العالم رسائل استغاثة
ولا يستجيب أحد
مدرب اليوجا الذى علمني التنفس الإيقاعي
المصحوب بترانيم هندية غير مفهومة
كان يؤكد على دخول النفس من ناحية
وخروجه من الناحية الأخرى
ومثل الأحزان الثقيلة
كان يدخلني الهواء ولا يخرج من أية ناحية
و كالبالون كنت أشعر أني خفيف
يمكنني أن أحلق بعيداً
دون أن أسقط فى بحر العندليب

أو أفك ضفائر حبيبته

النائمة في قصرها المرصود

الأماكن المغلقة أسرار مغلقة

وحجرتي المتواضعة سجن أسطوري كبير

أشياء مكتبي مبعثرة

والجدران المبللة برطوبة الشتاء

تحتضن مخاوفي

وتمنحني جرعة أوكسجين

أشعر بالاختناق كلما نفدت أنبوبة الغاز

أو انقطع التيار

أو اتصل بي أحدهم ذات مساء

كى يحكي لي عن مغامراته النسائية

عن تلك المرأة البدينة

التي كانت تحب الشكولاتة

والتي كانت تتبع نظاماً غذائياً صارماً

والتي كانت تشاهد المسلسلات التركية

بعد الظهيرة...

أشعر بالاختناق

إذا ما رن جرس الباب ولم يفتح أحد

إذا غادر الدليفري دون رجعة

وإذا ما نظرتُ إلى مرآتي المشروخة

فوجدتني نصفين مغتربين

أحدهما يتنفس من الأنف والآخر يتنفس من الفم

وكلاهما يمارس طقساً يوجياً سرياً

لحظة شرب القهوة

وإعادة ترتيب أشيائي داخل حقيبة السفر

أشعر بالاختناق

كلما جلستُ على ذات المقعد

وقلّبت ألبوماً من الصور،

فعثرت على نفس الوجه

مكرراً في مناسبات متعددة

وتلك الأسنان البيضاء

التي أحرص دائماً على أن تكون هناك

كلما حاصرتني الكاميرا

شاربي الأسود

الذى لا يشبه شارب رشدي أباظة

أو يوسف شعبان

أو حتى شيخ الخفر في مسلسل "الغربة"

كان يشعرني بأن شيئاً ما كارثياً

. سيحدث ذات يوم

أشعر بالاختناق

ونافذتي التي تطل على الجيران مغلقة

والشرفة مغلقة

وحبل الغسيل الممدد في الفراغ

ويحمل ملابس الأمس الثقيلة فوق كاهله

يمارس طقساً وجودياً ثائراً

أشعر بالاختناق

والنوم بوابة مفتوحة على الحلم

مغلقة على الواقع

العود الأبدي ليس أبدياً...

وحياتي المكرورة تناسخ أشباح !

أشعر بالاختناق

فى الملابس الرسميةَ

والحفلات الرسمية

والبشر الرسميين

الذين يرتدون البدل والكرافتات

و يرقصون معك كالهياكل العظمية

دون روح

أشعر بالاختناق

كلما حاصرتني أسئلة الأغبياء

المائلة للاحمرار

أو طاردتني عيونهم الزجاجية

اللامعة كمرايا الساحرات

المخادعة التي لا تعكس شيئاً

عدا الخيبات !

أشعر بالاختناق

كلما شاهدت عروض الأزياء

أو إعلانات مساحيق التجميل

أو لقاءات الساسة مع أطفال الشوارع

مصادفة فى عرض الطريق !

أشعر بالاختناق

من أفلام الرعب

التي لا تترك للضحية فرصة للنجاة

ومن الشعر الرومانسي

الذى يطالبك طوال الوقت أن تكون لطيفاً

ومن لوحة "الموناليزا"

التي تمنحك ابتسامة واحدة أبدية

ونظرة مراوغة عبر السنين !

أشعر بالاختناق

كلما عدّلت ملابسي

أو غيّرت تسريحة شعري

وظننت العالم يراقبني

بفضول سائح أجنبي يهوى التصوير

الكون يحاصرني بالأبواب والشبابيك المغلقة

ونظريات المؤامرة على أنفاسي المتلاحقة

وحلمي المشروع

أن أصنع كوباً من الشاي خارج الجاذبية

أن أسمع عبد الحليم

وأقرأ نزار

وأداعب محبوبتي صاحبة الشعر الغجري المجنون

فى جزيرة أبعد من الخيال !

مانو مغلية

لمحترفي شرب القهوة مزاج خاص

يفوق شاربي الشاي

واليانسون

والحلبة ذات الحليب

حتي شاربي النسكافيه

والكابتشينو

لا يشعرون بنفس الأهمية

ولا يرون في أنفسهم حاجة

لممارسة طقوس للشرب

أو الشراء

أو التحضير

علاقتي بالقهوة تشبه علاقتي بأصدقائي الجدد

الذين عرفتهم بالمصادفة على الكبر

الشاي كان صديق طفولتي

وشبابي

وشيخوختي المبكرة

كم شاهد معي أفلامي القديمة

ومباريات الكرة

واستمع لكوكب الشرق

في الخامسة من عصر كل يوم

وعندما كبرت

وعملت فى واحدة من ناطحات السحاب

الحكومية العملاقة

قابلته هناك وتصافحنا بحرارة

مشروب النسكافيه سريع التحضير

المعروف بالكافي ميكس

كان اكتشافاً يفوق الجاذبية

والنسبية

و الفيمتو ثانية

لكنه مثل الكثيرين من أصدقائي الجدد

لا يشاركني نفس الاهتمامات

ولا تعنيه ذكرياتي

فقط كان ينتظرني يومياً بانتظام

بعد الظهيرة

عقب وجبة الإفطار

وكوب الشاي المدلل

الموضوع في درج المكتب

بجوار أوراقي وأقلامي

وكتبي التي لم أقرأها بعد...

الكافي ميكس بالحليب كان اختراعاً

مثل السيارة

والطائرة

والمصباح الكهربي الذى أنار العالم

صديق دراستي علمني إياه

لكنى صحوت ذات يوم علي خبر سيِّء

الكافي ميكس أكذوبة

لا ينتمى إلى القهوة

أو النسكافيه

ولا يعبّر عن هوية واضحة

الكافي ميكس كيان مصنوع من تراكيب الكيمياء...

والأخطر من ذلك أنه قاتل

يسبب السرطان على المدى البعيد

البائع كان يعرف

والمشترون كذلك...

وقالوا إنه

مثل أشياء كثيرة ضارة في حياتنا

لكن ذات نكهة محببة

مثل التدخين

والثرثرة

وتتبع فضائح الآخرين

على مواقع التواصل الاجتماعي

نصحتني زوجتي بشرب القهوة

كسلوك أصيل

وعادة تحمل تاريخاً ناصعاً

موغل فى القدم
علاقتي بالقهوة لم تكن عاطفية أو جيدة
تذوقتها في مرحلة مبكرة من حياتي
واستشعرت طعم المرارة فى فمي
وصارت لدى عقدة
مثل فوبيا ركوب البحر
أو كتابة رسالة غرامية
لابنة الجيران
أو زميلة المدرج في الجامعة
ومثل مقدمات الرسائل الجامعية
كانت القهوة التي بالحليب
المعروفة ب "الفرنساوي"
مدخلاً جيداً لعالم القهوة
ولصداقات عديدة مع نادلي الكافيهات
ومادة ثرية لكسر الملل الزوجي
بعد أن كبر الأطفال
وتفاقمت مشكلاتهم

وصار لكل منهم
رأياً في الأكل والشرب
واختيار المدينة التي نقضي فيها إجازة الصيف
القهوة الفرنساوي منطقة بينية
تصلح للأشخاص الطيبين
الذين لا يملكون شجاعة المغامرة
والجرأة على الدخول في تجارب جديدة
دون معرفة سابقة بتاريخ التذوق
أو دليل سياحي لجغرافيا المقاهي والكافيهات
وأماكن تجمع رجال البن المحوج
الذين يشربونها سادة بغير مأتم
ب "وش" رغم أن العالم يدير لك ظهره
على نار هادئة في الأمسيات الباردة،
رغم الشوق الدافق نحو الشرب
مثل مرحلة التمهيدي،
التي تسبق دراساتك العليا
وكما المقدمات الموسيقية الطويلة

لأغنيات أم كلثوم...

ودّعت قهوتي الفرنسية المفضلة

ودخلت نادي الرجال غير السرى

وصرت أستوقف النادل دون ارتباك

وأطلب قهوتي كمحترفي الحياة

لكن الأمر لم يكن دائماً رومانسياً

فالقهوة ليست مجرد مشروب

القهوة علم وفن وأدب

وكانت معضلتي

أنى رجل معتدل...

أحب العالم إلا قليلاً

وأكره الكذب إلا قليلاً

وكان اختياري لقهوتي المفضلة،

كحياتي المفضلة،

أن تكون مظبوطة...

لا سادة... ولا سكر زيادة

أزماتي الوجودية لم تنته

والرجل الجالس فوق النصبة

لا يملك مختبراً أو مقياساً مدرجاً

فما زلتُ أشعر بمرارة الأيام

وعندما طلبتُ لقهوتي أن تكون سكر زيادة

شعرتُ، كسارتر، بالغثيان...

وش القهوة كان جداراً يفصلني عن نفسي...

وعن بهجة العالم

كان قناعاً يخفي شيئاً ما

تحت السطح...

شيء ما، غير معقول،

كان يدفعني للاستمرار

وشئ آخر على نفس مستوى الجنون

كان يلوح لي بالانتحار...

بمغادرة العالم في هدوء !

وعندما طرحت سؤالي الميتافيزيقي الملغز

أجابني النادل،

بثقة من يرجم الغيب ويفك الأسرار...

طلبك موجود

كمستقبلك المرسوم فوق كفيك...

مانو مغلية...

هي كلمتك السحرية التي لا ينبغي أن تنساها أبداً

لا تخرج من بيتك دونها

ولا ترجع دونها

ولا تقف أمام مغارة على بابا حائراً دونها...

نظرت إليه دون ما دهشة حقيقية

وفكرت مراراً في أشيائي الضائعة،

وأصدقائي الذين ابتلعهم الغياب

ثم أطلقت عبارتي المدوية

مانو مغلية !

كومبارس صامت

مثل تمثال برونزي صلب
يقف بعيداً عن الكاميرا
كومبارس يتقاضى أجراً لقاء الصمت
لقاء حياة فارغة
يشغلها خلف النجوم والأضواء
ربما يسمحون له بأن يحرّك ذراعاً
أو قدماً
أو يغلق عيناً ويفتح أخرى
وربما يكون أوفر حظاً
فيمنحونه الإذن بالابتسام
أو تقطيبة الجبين
أو أن يجرى طويلاً خلف سراب وراء الكاميرا
لا معنى عنده للسيناريو أو الحبكة
لا فرق بين البداية والنهاية

بين أن يموت البطل أو يتزوج الحبيبان وسط دهشة المشاهدين

لا معنى للعقدة

للمأساة

للكارثة التي تنزل فوق رؤوس الشخصيات

للأخوة الذين تفرقهم الأيام

وتجمعهم الصدفة العمياء

في الأفلام الهندية !

للزوج الذى اكتشف خيانة زوجته،

والزوجة التي تمردت على أنوثتها

فارتدت ملابس الرجال

في الأفلام العربية !

لا معنى لأن يذوب الممثلان في قبلة

سينمائية طويلة

باسم الفن

وحكم الدور

وتحية للوطن

أو ترفض هي من تحت الحجاب

ورغم الحصار

بحكم الدين

والحدائق الغناء

حول الفيلات الجديدة

في المدن الجديدة

أو يمتنع هو، باسم الأخلاق

وحرصاً على الأجيال

الذين يشربون من الصرف

و يأكلون من صناديق القمامة

الكومبارس الصامت

مثل تمثال الحرية، يقف شامخاً في الميادين

يرقب المارة

يتأمل الزحام

ويفكّر في حركة الكون البائسة

دون أن يثور أو يطلب شيئاً

وخلافاً لنيوتن

لا تسقط فوق رأسه تفاحة

ولا يكتشف الجاذبية

وبجنيهاته القليلة

التي يتقاضاها لقاء الصمت

يتناول ساندويتشاً

وكوباً من الشاي

ويدخن سيجارة يتيمة

قبل التصوير

الكومبارس الصامت

يشبه الكثيرين،

من الذين يرتضون أن يكونوا من المجاميع

ملامحهم واحدة

و نظراتهم واحدة

وحركاتهم واحدة

وأخطاؤهم لا تظهر في الكادر

و أحلامهم كذلك !

الكومبارس الصامت

صانع أفلام خلف الكادر

يكتب القصة

ويصور المشاهد

ويقوم بالبطولة

فيضرب الأشرار

ويقبّل البطلة

ويقتل الكومبارس الصامت

إذا ما خرج عن صمته

وحرّك يداً

أو قدماً

أو أشار بالإيماء

إلى الصانع الحقيقي للأفلام !

الكاتب في سطور

-ماهر عبد المحسن حسن

-كاتب، وأكاديمي مصري.

-محاضر في علم الجمال والفلسفة المعاصرة

- ولد بمحافظة الجيزة عام 1968م.

-تخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام 1991م، وفى كلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1998م.

-حصل على الماجستير عام 2005م، وعلى الدكتوراه عام 2014م.

- له ثلاثة كتب:

1 -مفهوم الوعى الجمالي في هرمنيوطيقا جادامر، صادر عن دار التنوير اللبنانية، عام 2009م.

2 -جماليات الصورة في السيميوطيقيا والفينومينولوجيا، صادر عن هيئة قصور الثقافة المصرية، عام 2015م.

3 -أطياف جادامرية، صادر عن دار مجاز للترجمة والنشر، عام ٢٠١٩م

-له العديد من الأبحاث والمقالات، فى مجالات الفلسفة والفن والأدب، المنشورة فى الدوريات العربية المختلفة مثل القاهرة والثقافة الجديدة وميريت الثقافية المصرية، والجديد والعرب اللندنيتين، و الاستغراب ومؤمنون بلا حدود المغربية.

- شارك فى العديد من اللقاءات التليفزيونية والإذاعية، وتناول موضوعات شتى تخص الفلسفة الغربية والفكر العربي المعاصر.

- شارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات ذات الصلة بالعلوم الإنسانية وقضايا الثقافة والتراث والإبداع.

- لديه مشروع تجديدي يعمل على ربط الفلسفة بالواقع، والدين بالحياة والفن بالأخلاق.

محتويات الكتاب

الإهداء 3
المقدمة 5
على نفقتي الخاصة 9
معاناة رجل خمسيني 15
نوستالجيا الريسبشن.....21
إهداء 27
فيزة مشتريات 31
علاج نفسي 37
السر 43
كن فارسا 47
تناسخ أرواح.....53
لمبة موفرة.....,.....55
ميتافيزيقا البانيو.....61
رسالة من منتقم.....67
صوت أم كلثوم 71
عربة المترو الأخيرة 75
خمسون عاما أخرى.....81
الكاميرا الخفية.....85

الموجة الثانية للجنون.....91
فوبيا الأماكن المغلقة.....95
مانو مغلية.....103
كومبارس صامت 113
الكاتب في سطور 119